

BOBST LIBRARY



3 1142 01254 1721

STRONG

*St. John's*

---

**DATE DUE**

---

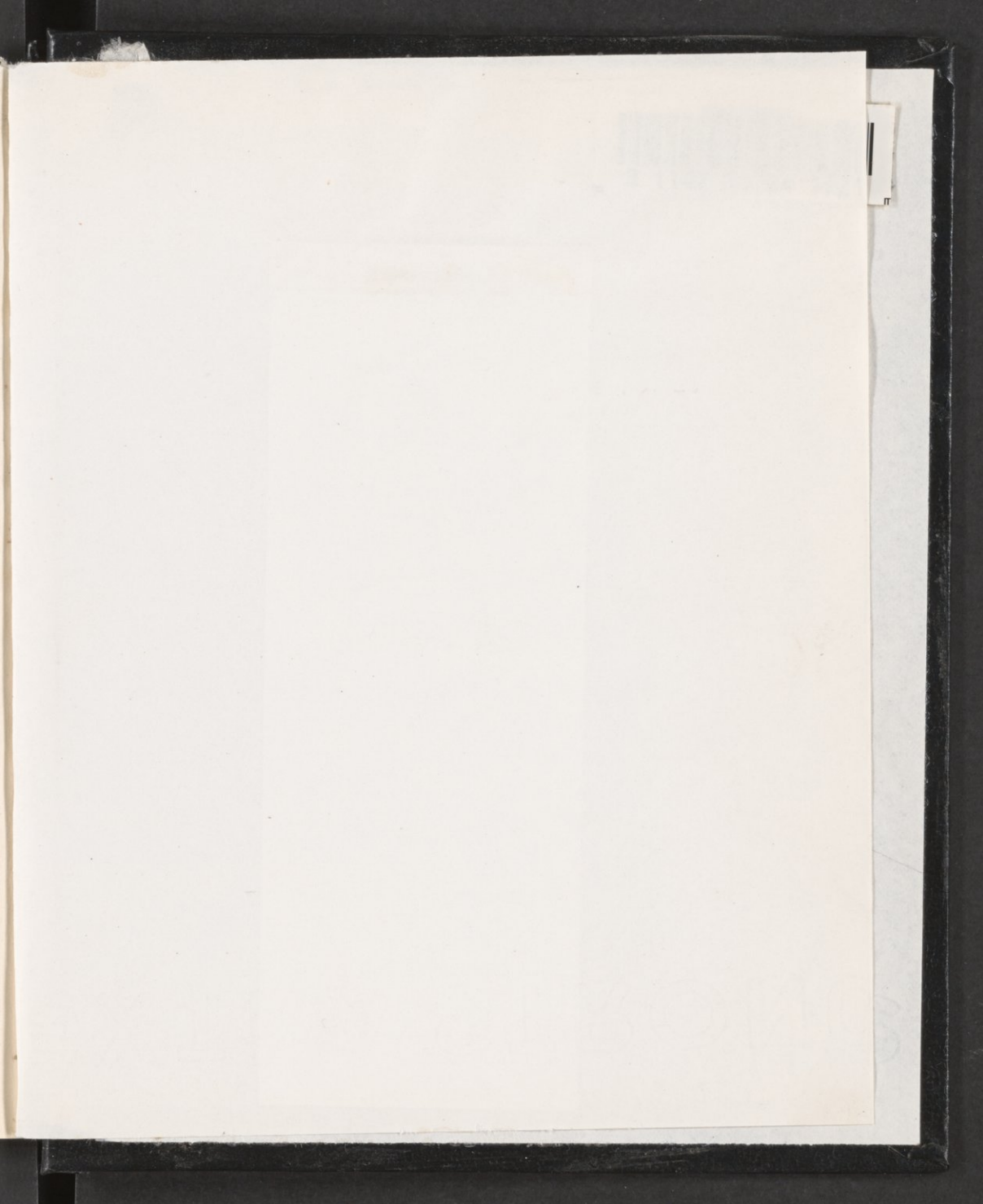
---

*Thal...*

-----

-----

-----



Sāyigh, Tawfiq

---

ثلاثون قصيدة • نوفيق صايغ

---

/Thalāthūn qaṣīdah/

دار الشرق الجديد

PJ

7862

A88

T3

1954

C. 1

---

*Halls by me that Footfall :  
Is my gloom, after all,  
Shade of His hand, outstretched carressingly ?  
« Ah, fondest, blindest, weakest,  
I am He whom thou seekest !  
Thou dravest love from thee, who dravest Me. »*

— FRANCIS THOMPSON,  
« *The Hound of Heaven* »

---

---

في الأوراق التالية سيأخذ عليّ ناقدني الكثير .  
لكنّ المأخذ الأبرز سيظلّ عنهم خلف حجاب :  
أني تصاعدتُ من بجيرتك غيمةً ، هطلتُ على  
الأودية ، وفوقكِ انشحتُ بالبياض ، وأني ،  
بين « بليّ » كنتِها منذ بطش الضوء بالعتمة  
الحنون ، و « بليّ » ستكوينها حين  
تعيدنا معاً عتمة أحسنّ ، طوالَ عهد  
الضياء الضرير ، كنتُ « لا » .

---



## بقلم سعيد عقل

---

تتشوّف الحياة ابدأً الى الحلم .  
ولكالتنتاج القامبيّ هي . 'تعاش' نثويّةً فكانها لم تكن .  
ووحده يمرّ في الأرض مرّاً مليئاً من كانت حياته قصيدة .  
والذي بين يديك اليوم حلمٌ ، محض 'حلم' ، لشدة ما هو  
حياة .

•  
رأى نفسه طريّ عود ، يافعاً ، « تدعوه ذراع » . ما من  
جسدٍ هذه الذراع . انها من حسن خالص . وهي الضائعة في  
حضورها الكثيف . صاحبته تسكن الوفور : فيا للحب  
بطعم الحجر .

ولكنه لا يلبث ان يلتقي الحبيبة التي من لحم ودم . فيعرف  
النارَ في الاعراق . نار لا تطاق لكثرة ما تترهق . فيتذكر انه ،

قباسها ، كان شفاف الوجود . « ما كان احلاني » ، يقول ،  
« بعيداً عن الكون » . ويخاف على الحبيبة الزوال . أما هي ،  
لبراءتها ، « بعمر القصيدة » ؟

ثم يخيل اليه انه بوسائل غير ذات حق بلغ مبلغه الحار .  
انه لبالشقاء يسعد . ان زلزلة تهدر في كيانه . أكثر من انخساف  
أرض فيها ، وأكثر من دمار وجود . فيها الذي لا قبل  
للحواس بتحمّله . « أفقأ عيني » ، يهتف ، « كي لا أشهد قبيحاً ؟ »  
سوى ان الحياة رحيمة . أما فيها الفتوة الضاحكة ، والربيع ،  
ومبزغان الصبح ؟ ها هو والحبيبة طفلان . « يظفران فوق الجبال »  
مسرلين بالقوة ، « لا يخشيان أسداً وسط ادغال » . أو يعبان  
من الينبوع ؟ لا ، لا . وقد « كان في حبهما نقص » . ولكن  
لأن في حبهما نقصاً ، ولأنهما بلا أرجل يسعيان ، يرتبان في  
الحوض . يرتبان ويرتبان ، وقد « انزاح الستار الأخير » .

وكأننا لكل ثمرة محرمة قصاص ، هنا ، كذلك ، هنا على  
الأرض : فالحبيبة تخون . تخون حبيبها مع صديقه . فيسا للرماد  
يطعمه حاراً . ويحس انه - وهو في مكانه - يرحل .

تراه في جحيم ؟ لا ، وها هو ينقلب بشراً فوق البشر .  
يعرف الألم حتى النهاية . أمبه بذاك الاله هو : مثله له بستان

زيتون . فيهتف بما به لم يهتف احد . يتجرأ على الله . « أنا  
أصقّد ؟ » ، يصرخ في وجهه ، أصقّد لولادتي في عالم أنت عميتته  
لي ؟ حيرتني ، حيرتني إلهي !

ويكاد بالحجارة يرشق مطلّات السماء ، لو لم تشفع به كلمة  
تقيم من موت : ربّ ، انت المحبّ .

وانه لقابض على خشبة ، على شفا الوجود والزوال ، يدير  
عينيه الى ذاته . فيرى نفسه « عاقراً بين اطفال اختها » ، تكاد  
تخمش وجودها تخميشاً . ولكنها - لما يغمر كيائها من حنان  
على من ليسوا لها - تحسّ ذاتها أغنى من أمّ . وفي غدها ، لانها  
باتت « تعرف من اسرار الخلق ما لا تعرف الامهات » ، سيطوقها  
الفجر أبهى من عروس .

انه الآن لمدمر في ذاته كلّ شيء . كلّ شيء الا المعطي .  
هو صاحب القصيدة إذن . يُبدع ليُبدع . « ما قادي اليك  
هو » ، يقول ، « بل قادي اليك هو ايّ لي » . وأنا هنا « لا  
لتأخذي ولكن لأهب » .

ها هو في صحبة سعة جاءت من عبر الأوقيانوسات .  
صديق يدعوّه الى مأدبة لأفلاطون . « أطيب الملك » عليها  
وفاخر المشرب . ولكنه وسط الخوان الشهوي لا يجد ما يمدّ اليه

يداً . وتظلّ لا تُطِلّ تلك المنتظرة منذ الدهور .

ويُضيع نفسه . ولكن لأنه يعرف كيف يُضيعها ، يجدها  
عنيفة الوجود . يهتف . يرفع صوته بالفرح . يزلزل الآونة التي  
يسكن ، يتملأها من مسرّة . ولكن لأن الحياة صعبة كأحجية ،  
يبقى عليه ان يعرف تجربة دانيال .

هو الآن في قلب الحياة الضاجة ، الباردة باهلها ، اللاسعة  
بالريح والدوح المقتلّع والمحق ، منذ قوله للبحر : « ازبد  
وطرطش » ، الى تحمّل « البارمان الاعور » يركله بوجهه ، الى  
التطهر بالنار ، والتفتيش عن « رأس أصلع » يخطّ عليه قلبه .

ويعطى ، بعد العاصفة ، لذّة الاستمتاع بالطبيعة . طمأنينة  
تجعله يحب البحر ، ملعب حنان وبناء ، والرمل « زوجة شمس » .  
وفي ظلّ قلامه من سعادة كادت تُذهله عن الحياة ، تلتمع له -  
سريعة الخطى ، فاعرة الشدق - أوجعُ خطايا العارف . تلتمع له  
خطيئة الضجر . « ثمّ ماذا ؟ » يصرخ . ويكرّرها تقصم من  
ظهر : « ثمّ ماذا ؟ » « ثمّ ماذا ؟ »

انه الآن فاوست آحر . يستعين بالسحر . يتطلب كسر  
القمقم الذي فيه سُجين .

وانه اشبح . الدنيا حوله صقر من اشياء الحسن ، خلوه من

« ارتعاش قدّ » . فيهرب من الوجود . ولكن الى اين ؟ الى الوجود الأئيل .

ويقوده مفيستو ، في ذلك التطواف المرهق ، الى الحواضر ، « حيث الملايين أركان افقاص » . الا انه حتى متى راحت تبدو له بارقة أمل ، يظلّ يلوّح له بصكّ الدم . ويبقى لزاماً عليه - لكبرياء لم تفارقه - ان يستبق ( الروح النافي ) الى تطلّب العتمة المريحة الاخيرة .

ويكون له « طريق دمشق » . هاتفٌ يقول له : « بدلت لك الطين » آخر ، « تمتع بالجمال » . ويصبح الى « موعظة جبل » . وانها لمن الجدّة عليه تلك القديمة كالقدم بحيث بتخيّلها لم تُسمع قبل ، وان صاحبها اليه وحده يُسِرّ .

ويعاوده الشقاء . ماذا ؟ تراه بات عريق عهد بالشقاء ! قلبٌ لا يقرب . بناءً نارياً يُبنى من جمر . فاجرٌ يجدّد خطيئة ( حامي النور ) . ماذا ؟ أين بعد الرؤية ، الرؤية العظمى ، يجرؤ ان يتطلّب ؟ وما يتطلّب ؟ وكلّ ما يُعطاه - بعد الذي أُعطيه - فراغ ! ومع هذا يريد . يريد ولو الشكل . عدّه ، يا عرقوب ، عدّه لا ليغتم بل ليكون في الوجود وعد جديد .

وتحين منه التفاتة الى بلاده . تلك التي « رأست المنتدى » .

فاذا هي قد انتهت ، حتى لتقوّد لبناتها ! وعلى مقربة من ضريح  
القيم ، يستشرف كلّ الحضارة . انها لزنجي يسوقه بسوط . ذراعان  
مدودتان من عجز . أصابعُ لبعضٍ من بشر . فمّ « يمزج الغناء  
بالصلاة » .

ومرّةً اخرى يجد نفسه يجالد . ( تراه كفّ يوما عن الجلاد؟ )  
ويعرف الفرح . فضيلةُ بنتُ المحبة . بنت ( التي هي العظمى ) .  
ما أجملها أغنية تنطلق من فيه كأنها ملء الوجود . وتوتّ فريد  
البثّ بين أوتار الحفّة الغنيّة .. « قدمي نطنطا » .. « وان  
شئتما فحطّتا على اراراس » .. « قدمي أقلعا » .. « وأنا سأنطنط » .  
واذا يعاوده صخبُ الحياة ، ولجّهل الناس له ، يحكمون عليه  
بالابعاد ، فيسبقهم - وقد أصبح في الخارج - يسبقهم الى الحكم  
عليهم .

وانه ، آخرَ المطاف ، لفي حضرة المرأة . (أهي الحياة الحرّة؟)  
انه ليستغفرها على خيانتها لها . فلا يجد اجمل من تذكيروها بانها قد  
سبق له ان نُحِتَ نُحْتًا معجزا ، هذا الذي راح طولَ حياته يحطّم  
العدم الذي فيه .

حلمُ توفيق صايغ ! انتهى حلم توفيق صايغ .  
أعرفُ أيها القارئ انك تودّ لو لا ينتهي .

ولكن الى ايّ قول تريد بعد ؟! الحياة كلّها أفرغها هذا  
الفتى الذي عاش نيسانانه وكأنها دهور . أكاد أحسّ التاريخ جميعا ،  
منذ بابل ، يتفلّت عنده من سجن الكلمة .

ان كتابه لا ليقرأ . انه ليغدو خلجات فيك ، ودمماً دافقا ،  
ونارا . انه مزيج من سبق ولاهوت ، من كشفٍ علمي وخطيئة  
وبرارة ملائكية أولى .

ولكننا لم نأخذ على هذا الخاطيء الكبير ، ولا مرّةً ، أنه  
كفّ . انه توقّف .

لكم هو ابن للحياة هذا الذي لم يتعب من قرع باب الحياة .  
قد تدهسه ، قد تطحنه . فيبقى منه ولو رماد . رماد يعاود  
الكرة : يقرع باب الحياة من جديد .

انه كلّ شيء سوى اللاشيء ، هذا الذي جاء آخرَ الزمن ، في  
عصر يتنفّس العدم تنفّسا : في الفلسفة والشعر وفي الفنّ جميعا .  
أيّ ثورة على الشيطان ، على ( لروح النافي ) ، هذا الذي يظنّ  
يفكّك ذرّاتِ النفي حتى يهتدي الى سرّ تحويلها . تحويلها الى  
معدن الوجود .

انه حتى في بغضه - وهل يمكن مثله أن يُبغض؟ - انما هو  
حبٌ يُخِصِبُ الشتاءَ وهولَ العاصفة. يُخِصِبُهَا بِأَلْفِ زَهْرَةٍ - أَمْنِيَّةٍ .  
لا . لم يسلسل حياته . لقد اقتحمها اقتحاماً . ومن هنا انه  
آثَرَهَا عَنِيْفَةً لا جَمِيْلَةً . أوَّلَ مَرَّةٍ بِقَصْدِ فَنَانٍ مَشْرِقِيٍّ - عَادِئاً -  
مُحِبَّةً غَيْرَ مُؤْتَلِقَةٍ النورِ . ولكنهُ ، لوفرة ما يملؤها ويُعْمَلُ فِيهَا  
قُوَّتُهُ الصَّنَاعِ اليَدِيْنَ ، يرفعها الى مستوى الجمال .

هنا اللفظةُ لا لتقول ، حتى ولا لتكوكب . انما لتُعَدِّيك  
بالوجود . وهكذا تُلَاعِبُهُ الفَتَى جَمِيعاً . من تطالِبُ المفاجأةَ ،  
وانفجار كلمتين مستقطبتين - وزلايئة ضوء احيانا - واقحام  
لغة حياة في لسان قدامى ، الى درس أصول من ضمن أصول ، حتى  
لأنت أمام كل شيء خلا الجبن .

أجرأ الاقلام المشرقية هذا الفتي المضطرب ، المحرور العينين .  
انه يقوم بعمل عجب : من عجم الفكر ، ومن إلباسه ثوباً فريداً  
قد يكون لا يزال في خاطر المرأة من باريس ، ولكنه في عراقية  
ذوقها الأخاذ . انه يكاد يُعيد النظرة في ماهية العطر ، وكيف  
يُقَصَّدُ لا ينتظر موعده ، ويُعيد النظر كذلك في أصول قص  
الشفق وكَدْسِهِ وِردَةً تشتعل في الحاطر .



---

ثلاثون قصيدة • نوبتق صايغ

---

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله  
والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله

والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله  
والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله

والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله  
والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله

والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله  
والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله

والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله  
والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله

والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله  
والذي هدانا الله لولا أن هدانا الله

أَنَاذَكَ ، لَا تُبَلِّلْ جِرَاحِي  
 وَأَبْعِدِ الْخِلَّ عَنِّي :  
 سَيَاطُ جَلَادِيكَ كَفَتْنِي ؛  
 مُجَبِّي مُعَذِّبِي ، أَلَا تَكْفِيكَ ؟

فِي سُرَايَ ، صِيداً لِلذَّاذَاتِ الْاِنْتِظَارِ ،  
 عَثَرْتُ مُخْطَايَ  
 مِشِيَّتِي بِقَدَمِيْنِ وَقَدَمِيَّ .  
 وَبَيْنَ صَدِّ قَدَمِيْ مَبْعُوْثِكَ لِي

وركلِ قديمي له

خبا وهيجُ اللذات .

وفي لحظاتِ الخلوِّ

أطلَّ علينا رقيبٌ ليس فيه شذوذُ؛

في لحظاتِ الذرى رأيتُ الهاوية ،

ومع نشيقِ العطور تنشقتُ الحنوط .

وفي الرجوعِ أحضرتُ

هارباً من ذاتِ تلاحقني ،

سوطاً في قفا هذي

وسوطاً أمرُّ في قفا ذاك .

عكَّرتُ أحلامي

وأفسدتَ عليَّ لذتي

وأعضتني قلقاً وندامة

وحاسّةِ الاثم .

أفلا يكفيكَ هذا ،

الهي ، ألا يكفيك ؟

معاقبَ العاصي ،

جعلتَ معصيتي عقابا :

أفأنا لعقابين ، أيها العادل ،

لدون ما معصية ؟

قاضي ، لا تُصيخُ سمعكَ عنِّي ،

واعذرَ احتبائيَ الروبَ

وزحزحةَ القيدِ عن معصِي :

فان كنتُ المذنبَ والمحامي

أَفَلَسْتَ قَاضِيَّ وَالْغَرِيمَ ؟  
( وَاغْفِرْهُ الْمَهِي مَا أَقُولُ ) .

أَنْتَ الَّذِي حَكَمْتَ عَلَيَّ بِالنَّفْيِ  
وَعَيَّنْتَ فِي الْمَنْفَى مَنَازِلِي ؛  
وَصَمْتَ جِيبِي  
وَفَرَّرْتَنِي فِي اللِّامِكَانَ  
أَقْتَشِرُ عَنْ كِفَّارَةٍ  
تَحْمَلُ لِي صَكَّ الْفِدَاءِ  
وَاحْمَلُ لَهَا التَّغْنِيَّ  
بِصَوْتٍ لَمْ يُدَنَّ دِينَ مِنْذُ أَيَّامِ الْوَطَنِ .  
أَعْطَيْتَنِي مِفْتَاحًا  
أَدْرُتُهُ فِي الْقِفْلِ

فرحبت من الداخل كفارة عقب كفارة  
حتى اذا ما اطلت علي  
وتوسمت اخلاص ،  
رأت جيبني الذي وصمت  
والتبط الباب في وجهي  
وتدحرج المفتاح على العتبة .  
أنا الملوم

اذا استدار القفل ولم يتدحرج المفتاح  
الا في منزل على جيب ربه  
وصمة كوصمتي ؟  
أنا الملوم  
إن أنت نفيتني  
وأنت وصمتني  
وقلت : «فتش عن الفداء» ،

ومنعتَ عنيّ الفداء؟

أنا أضفد

لدخولي منزلاً

أنتَ عيّنتهُ لي

ومفتاحك أدخني فيه؟

أنا لك يا وصمي :

رضيتُ الوصمةَ

وكفارةً وسّعتُ وصمتي ،

أفلا يكفيك هذا ،

إلهي ، ألا يكفيك؟

لن أقولَ بعدُ . لن أقول .

دعاويّ أحكمشها بمنطقٍ



شحذتُ حدها كباتر :

لم يُجرح غير أصابعي .

اقتنعتُ بصحتها

ولكنّها لم تقلل من ندامتي .

أعرفُ أنّي غيرُ ملومٍ

وأعرفُ أنّي أقرُّ ، إذْ أَدفعُ ردعك ،

أنّي ملوم .

نصبتُ ذاتي المذنبَ والحامي

وأراك خلعتَ عليّ رداءك ، قاضيّ ،

وقلبتني الخصمَ الذي ظننتهُ فيك .

أنتَ وصمتني ،

لكنك وصمتني أنا ؛

وتعيينك منفايَ لي

لرضاك عليّ .

وفي حجبك الكفارة عني  
وقولك : « اسع الى كفارتك »  
حيرتني الهي .  
حيرتي تشفع لي .

أيها العادلُ ، أنت الراحمُ .  
مُبعدي واصمي معذبي ،  
أنت المحييري ،  
أنت المحبَّ .

قدمي نطنطا :

للباز يومه

وللدودة لا يخذش الصخر طراوتها؛

يومكمما أمر

ساعاته دنان

(لو تعي الشفاه) .

قدمًا تسابقتما

الى حيث انقلبتما اذنين

أطربهما لقاء الأُكفَّ ؛

وكدتُما تتعمَّران

اذ توحَّدتُما وضيعاً تجبَّرن

فسطا رعشةً وارتمى ؛

وتشحشطتُما

الى تلةِ المساكين والمنسحقى القلوب

ورفتُما الطوبى .

قدماي ، نطنِطا :

جرجرةٌ بعدُ ، أو قمزة ،

ويطلقُ عبديهِ السيِّدُ .

تبَخَّرتُرا :

أنتمُ الفلَّكُ الخليلُ

والربَّانُ والبوصلة .  
هَمِّيَ أَنْ تُتْلِعَا ،  
وَإِنْ شِئْتُمَا فَحِنُّنَا عَلَى حَوْتِ ،  
وَإِنْ شِئْتُمَا فِشَوِّهَا الصَّقْلَبَ  
وَابْصُقُوا فِي وَجْهِ أَبِيهِ ،  
وَإِنْ شِئْتُمَا فَحُطُّنَا عَلَى أُرَارَاسِ .

قَدَمَايَ ، أَقْلِعَا  
وَإِنَّا سَأَنْتَطِنُّنَا .

## الموعظة على الجبل

---

أنا أيضاً أتبعته ،  
غذيت قوتهُ بضعفني ،  
وأعنته على تحقيق ذاته .

على القلعة اللغواء  
التي انتظرها طويلاً ذراعانٍ متراخيان  
لبحيرتنا النعسة  
( كدمعةٍ يتشوق إليها الخدُّ  
وتتقربُ بعَيْنين ) ،

أكلتُ مع الآكلين ،  
ورأيتمهم يُهللون لهُ ، وقد شبعوا ،  
ويتدحرجون في أثره .  
وحدي لبثتُ على التآة ،  
وراقبتُهُ يستمعُ للمياه تعلنُ الولاء بصمت  
ومختاروه من حوله يُقوّقون .  
وحدي لبثت ، أنتظرُ عودته .

عرفتُ أنهُ سيعود :  
فالأرغفةُ الباردة وقطعُ السمك  
( ولو انَّ يدي أمِّ لفتَّتها  
ولو انَّها ببركة أمِّ تملَّحتُ )  
تركَّني أتضوّرُ جوعاً .

والمياه التي انقلبتُ خموراً  
عادتُ مياهاً على شفتي .  
والوحدُ الذي تقى من الوحدِ عيني برتماوسَ  
جعلَ عينيَّ تسأمانٍ ما كانتا تتنزهان به .  
والنداءُ الذي أعادَ فتى نايبين للحياة  
تركَ أمي في سواد .

على تلةِ الخصبِ  
وسطَ السنابلِ تتعالى كشموعُ  
وتتلونُ حدودُها إذْ يغمزُها  
بعيونٍ متعبةٍ  
سماكٌ لا ينام ،  
تضوّرتُ جوعاً .

أنا جربتُ أيضاً :  
في غيرِ بريةٍ جربتُ .



وعاد .

مِن المِيَاهِ تَنْبَعُ آلِهَةُ الْحَبِّ .

عَادَ ، وَفَتَحَ فَاهُ

( وَقَالَ قَوْمٌ أَنَّهُ تَغَنَّى

وَقَالَ قَوْمٌ أَنَّهَا صَلَاةٌ ) ؛

هَلْ سَمِعَهُ سِوَايَ ؟ ظَنَنْتُ

أَنَّهُ كَانَ يُسِرُّ لِي .

لَمْ يَنَادِنِي ، وَخَرَجْتُ ؛

وَلَمْ يَكْسِرْ أَرْغِفَةً وَلَمْ يَلْمَسْ دَنَانًا ،

وَامْتَلَأَتْ السَّلَالُ مِنْ جَدِيدٍ

وَرَأَيْتُ الْمَعَازِمَ الَّذِينَ اضَاعُوا الْوَعْيَ بَوَعْيٍ يَتَلَمَّظُونَ ؛

وَلَمْ يَبْصُقْ عَلَى الْأَرْضِ الْمُتَجَدِّدَةَ ،

واذا سبعةُ المجدلِ سبعون ؛  
اذْ فَتَحَ فَاهُ .

على التَّلَّةِ أَضْطَجِعُ .  
وَحِينَ تُعْرَجُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ  
فَتَزِيدُ حَرَارَتَهَا  
وَلَا تَزِيدُ الضِّيَاءَ ،  
أُهْبُ لِلْمَلَاقَاةِ الْمَوْجَةِ  
الَّتِي تَجِيئُنِي بِغَيْرِ مَجْدَافٍ .  
فِي مَوْطِنِي ، إِلَى مَوْطِنِي أَحَبِّ .

وَأَعْرِفُ أَنَّهُ سَيَعُودُ .

وَأنتظرُ عودته

(مقبرتنا الآن على التلّة).

اليها سيعود، مخلِّقاً الجموع،

ليبحثَ عن مسندِ رأس.

وقد يفتحُ فاه

وقد أسمعُ « طوبى - » .

---

ثُمَّ ماذا ؟  
يقلبُ الملهاةَ مأساةً  
يمحو عن المأساةِ الجلال  
مردادٌ خفيت  
يُدبِّغِي :  
ثُمَّ ماذا ؟

دُنَايَ الفِراغِ ،  
أوكارٌ حبالِي

ثمّ ماذا ؟

إنّ يعتكفُ يوماً

وتتمتلي وجناتُ الدُّنّى

يسلُّ اللّونَ منها

فزعُ يومضُ

ورعدٌ يقحّ :

ثمّ ماذا ؟

مصيفي الفراغُ ،

مشتاي الفزع ؛

وعيشي قطارٌ بينهما

صغيرُهُ

ثمّ ماذا ؟

مع قهوة الصباح

ثم ماذا؟

وطوال ساعات العمل

ثم ماذا؟

وقبالة الأوراق

وبين طيات الفراش

ثم ماذا؟

وكأهنا هنالك

ثم ماذا؟

يقض اليوم

ثم ماذا؟

ولا يُبقي منه رسماً لغدٍ «

وَيَحْنُو عَلَى أَطْلَالِ أَمْسٍ

كَانَتْ دِيَاراً وَبُستاناً

لولا

ثمّ ماذا؟

وفي

ثمّ ماذا؟

مَعَمَسْتُ أَيَّامِي .

---

سنواتٍ بعُمرِ فتيةٍ  
كان عليّ أن أجوبَ الديارَ الموحشة  
وأسكبَ في النهرِ دموعي .  
سنواتٍ أثمرَ الأترابُ فيها  
أسامي وعوائل ،  
وظللتُ بذوري تُعارِكُ العتمة .  
وتردّدنَ على نوادي المجتمع ،  
وهزّ لي الأطباءُ رؤوسهم  
ومدّوا الأيادي بعدَ طولِ علاج .



نزفتُ حياتي ، وماءَ الحياة ،

وانتظرتُ

هانفاً يهبُ البذرةَ دفئاً ونورا

ويعتقُ المنفيَّ من تيهه .

ولمَّ أجُدْ بدمي في جهادٍ

ولمَّ أتبرَّعْ به لصليب

ولمَّ أقدمْهُ لوليَّتينا القمر

أقايضُها به أملاً وثقةً وصحةً تتجدد .

نزفتُ حياتي ، وماءَ الحياة ،

وتابعتُ ترحالَ المساء .

وقال الهاتفُ : « طوبى  
لمنفيَّ يهتفِ المواطنون باسمه بطلا ،  
ولصحراءَ تؤولُ الى أرض موعد ،  
ولدموعٍ تنقلب ينبوعا ،  
ولبزرةٍ مأوى الطيور ،  
وصومعةٍ مأوى شريدي الديار ؛  
طوبى لعينينِ مقعرتينِ تتحدبان ،  
ومهمهم يرتقي المئذنة ،  
ولعليلةٍ تستنزفُ القوَّة من اله . »

وصرختُ : « متى

لكن متى ؟ »

وقال : « يومَ يتلَوْنُ الأفق

وتخضرُّ الرُّبى ؛

يومَ تُمَيِّزُ المَنارةَ مِن انوارِ القباب ؛

يومَ تلحتمينَ بالجمهور

ولا تختفينَ فيه ،

ولا تؤخرنَّكَ دَفِشَاتُ

أَوْ يصدِّ نَكَ تَقْرِيعِ المَقْرَبِينَ ؛

يومَ تلمسين ،

وإنَّ تساءل : من ؟ ، قلت : أنا . »

غداً إنْ وجدْتُني مارداً في قممِ  
 ترفسهُ الأمواجُ تارةً  
 وتارةً تعالجُهُ الأسماكُ اليقظةُ فتعيماً،  
 هلْ أُنذبُ العالمَ الذي أضعتْ؟  
 هلْ أشتُمُ القدرَ الذي اختصرَ الماردَ وشوّهَهُ؟  
 هلْ أكسّرُ القممَ وأنفليتْ؟  
 أمْ أقبعُ فيه راضياً، كما يقصُرُ؟

هلْ أستغيثُ بسليمانَ مُستَسْمِحاً،

أو أنادي : « الهي ، ابعثِ الصياد » ؟  
أو كنْ يقولَ الهي : « ولماذا تريدُ الانفلات ؟ »

وبماذا أجيبُ الهي ؟

أقولُ له : « أعلنِي السأم ؟  
وفي أرضِ الناسِ كان السأمُ  
مُرضعتي ، ورفيقَ دراستي ، وعشيرَ الصبا ،  
وليلةَ زفاني سبقي إلى الفراش .  
أقولُ له « حننتُ إلى الجماعة » ؟  
إلى جماعة طوقتني بذراعها فعضضتُه ،  
ووهبتني ما سألتُ فأنكرتُها ثلاثاً ،

واحتضنتني فلم أكن منها وكنْتُ فيها.  
أ أقولُ له : « أريد أن أنشر رسالتي »؟  
على مَنْ أريد أن أنشر رسالتي ،  
وهَمِّيَ كَانَ أَنْ لَا أَفْعَلَ بَلْ أَفُوهُ  
وَأَنْ لَا أَفُوهُ بَلْ أَمْتَمِمْ ،  
ولماذا لا أتمتتم في قمتي ؟

وبماذا أجيبُ الهي ؟

غداً إنْ وجدْتُني مارداً في قمتي  
فلنْ أركلَ لحدِّي  
ولنْ أميلَ عليه مغتبطاً بخدِّي :

بدلتُ منزلي ولمْ أبدلْ بلدتي .  
وسأقبع فيه ، سئماً أبكم ،  
ترفُسني الامواجُ فلا أهتز ،  
وُتدَغِدِ غني الأسماكُ فلا ألتفت .  
وأظلُّ فيه ، محروماً حتّى من الذوى ،  
الى أنْ تغوصَ الشبكة  
ويفرحَ الصيِّادُ ثمَّ يرتجفُ —

وهل أقول له: «انتقِ العرش الذي تحب»؟

أم أقول: « اخترِ الميِّتةَ التي تشاء » ؟

سَمَّنْتَنِي فَتَهَلَّلْتُ ،  
 وَجَزَرْتَنِي فَتَلَوَّيْتُ  
 أَزْغَرِدُ الْآهَاتِ ، كَذَلِيلِ  
 تَحْتَ سَيَاطِ ذَاتِ الْفَرَاءِ .

وَتَحَسَّسْتُ يُدَيْكَ  
 أَبُو سُهَيْمًا ،  
 سَلَمْتُ يَدَاكَ يَا مُعَرِّقِي :  
 مُتَقَدِّمِي لِمُعْتَرِّ وَوَافِدِ ،



فتفوز بهم وعلى اليفاع غير نار ،

وتشتري بي

(و كنت بخساً)

نفيس الثناء .

سألت يدالك يا معرقي ،

لحمت اذ بوستهما

أثر المسامير زال .

## سبكلوجيا رجعية

---

لعمري ما رأيتُ يداً تقطفُ قرنفةً  
الأُورأيتُ دُمعةً تحتَها انتصفتُ ،  
واندلعتُ على سقارٍ  
أمامَ عينيَّ وخلفَهما  
مشاهدُ السبيِّ في الماضي الزريِّ ،  
واختطافِ العذارى ،  
وصفوفِ الأَطفالِ في ما يسمونه بساتين .

أنا أعرفُ أنَّ القرنفلَ للقطفِ

وَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي الرُّوضِ  
كَأَيَّامِهِ أَنَّى يَكُونُ ؛  
وَأَنَّ لِلْقَرْنَفَلَةِ الْبَيْضَاءِ رِسَالَةً  
لَا يَسْمَعُ بِهَا غَيْرُ بَسْتَانِيٍّ أَصَمَّ  
إِلَى أَنْ تُنْحَزَّ  
وَتَلْتَقِيَ الْوَرْدَ وَالزَّنْبَقَ  
وَأَحْمَرَ الْقَرْنَفَلَ وَمَرْشَوْشَهُ ؛

أَنَا أَعْرِفُ أَنْ مَصِيرَهَا آنَذَاكَ  
لَا تَرِبَةَ مَأْوِيَةٍ  
بَلْ لِنَاءٌ سَامِقٌ رَشِيقٌ ؛  
وَأَنَّهَا لَنْ تَرْتَمِي تَحْتَ وَرْقٍ أَخْضَرَ مَوْحَلٍّ  
بَلْ عَلَى طَاوِلَةٍ فِي مَقْصُورَةٍ ؛

وأعرف أنّها قد تتنقلُ من يد الحبِّ ليد الحبيب،  
وقد تنتصبُ لترى ذاتها ترسم على لوحة،  
وقد تُترشُّ والأسى فوق ضريح؛

أعرفُ؛

وأعرفُ أنّ الحضارة حضارةٌ مجتمعٍ لا قبيلة؛  
وأنَّ السيكولوجيا تبني النواطحَ على ذلك الاسِّ؛

لكنّنا أعرفُ

أنّي كنتُ صغيراً

(وأدركُ أنّي صغير)؛

أعرفُ أنّ آهاتي اليومَ ورغباتي

صدى آهاتِ أمسٍ وترجيعُ الرغباتِ ؛  
وأذكر الرسالةَ والثناءَ

والحبَّ واللوحةَ والضريحَ ؛  
لكننا أذكرُ

الصباحَ زنجياً يسوقني بسوطٍ غليظٍ  
وقبيلَ المساءِ ذراعينِ وصدرا  
وأصابعها تعبتُ بشعري  
وفمها يقرنُ الغناءَ بالصلاةَ .

## نشهد وطني

---

أحقاً عرفتِ صباحاً

وحقاً أثارَ الفتنةَ

اصطخابُ رديكِ في الشبابِ ؟

أحقاً ترأسْتِ المنتدى

وكرستِ أعدادَها لفساتينكِ

مجلاتُ الموضِ ؟

لا أصدقُ ؛

أحقاً قلبتِ زوجكِ زعيماً وهدى

وبنى لكِ زوجكِ مملقاتِ ،

يا بلادي ؟

أحقاً غفائكِ باجلالِ  
مَن كانَ بحرقَةِ غفائكِ ،  
وحقاً حدوتِ الخيلِ  
وساقها بنوكِ لبعيدِ المراعي  
وما فتحتُ فإها لقضمِ  
وفتحتهُ لصهيلِ كترنيمِ ماذن ؟  
لا أصدّق  
لا أصدّق يا بلادي .

لا لأنكِ شخنتِ :  
ففي اغترارِ الذوائبِ وقارٍ  
وللتجاعيدِ فعلٌ قصّرَ عنه الغُضوضُ .  
ولا لأنكِ انزويتِ :

لو أنك إذ تنحت الأضواء عنك  
احتضنت المعاهد  
أو افتتحت الميآتم أو جمعت التبرعات.  
لا يا بلادي :  
و كنتُ إذاً لأهواك  
وأغني جمالاً يتدرجُ وما يزول ،  
و كنتُ إذاً أزورك  
وأحرمُ إذ أزور .

لكنك تكلمت مع المشيب بالهوان  
ونفضت عنك ذكرى زوجك والشباب  
كأنهما غبارٌ على جسمك المغفر ؛  
لكنك أخصيت بنيك



ورأيتهم طأطأوا الرأسَ لذكرائك ؛  
وتمرغتِ مع هذا وذاك من منحرفي الميول  
( وكيف أصدقُ ما يقالُ عن ماضيكِ

يا بلادي

أنا الذي رأيتُ بيتكِ وأضواءَهُ الخافتة؟)

وإمّا أشاحَ عنكِ العاشقون

قَوَدتِ لِبِناتِكِ

يا بلادي

يا بلادي .

---

هذا الشبحُ الذي يُلازمني  
وعرفتهُ منذُ عرفتُ الحياة ،  
أما من وطنٍ يناديه في السُّبات  
فیهُجرني إليه ؟  
أما من زعيقِ بوقِ فيلبيّ الزعيق ؟  
أما من معبدِ فيلبسِ المسوح ؟  
أما من ارتعاشِ قَدِّ  
فيتلوى ، في خلوةٍ ، ساعةً في المساء ؟

مزقتُ جواز السفر  
لذا رأيتُ رسمه فيه معي ،  
بدلتُ اسمي إذ انتحلته ،  
أنكرتُ وطني يومَ انتمى معي لحزبٍ فيه .  
هربتُ ، اختفيتُ ،  
التجأتُ لكهفٍ نهاراً  
وتسللتُ ليلاً للقفار ،  
أرختُ لحيتي ،  
ضربتُ في وجهي الوشم ؛  
وفي بلدٍ غريب  
تمدّدتُ مرتاحاً وابتسمت .  
وانتصبَ في وجهي وقهقهه .  
معي حينَ أراهُ ،  
وحينَ لا أراهُ

كحُرْدَبَّةٍ مَعِي .

الى أين ؟

الى أين ، أيها الظلُّ

الذي رأيتُهُ حتَّى في الظهيرة ؟

الى أين ، أيها الشبحُ المُلازمي ،

الذي رأيتُهُ يفتظرني بهدوءٍ

بين طيماتِ المياه

حين التجأتُ بجنونٍ

الى الصخرةِ المثقوبةِ ؟

فاوستس ١٩٥٤

---

أسرعى ، أسرعى يا خيول الظلام .

قرعتُ بابَ الجحيم ،  
تسلّقتُ تلَّ المُلْهَمَاتِ ،  
همستُ للجنِّ في داخلي ،  
وسرتُ بعد الغروب في الخلاء ؛  
وما اهتزَّ قلم .  
ناديتُ : أفا يَضُّها بالنجاح  
بالجاهِ بالصحةِ حتّى بالهناء ؛

وما طنطنَ مسمعي .

عرضتُ نفسي ، فلم يكتظَّ سوقٌ

ولمَ يشرِّها حتى مقيستو

( قالَ : « بالوحدة » ) .

ولما يئستُ ،

صرختُ : « رضيتُ ؛ رضيتُ ، مقيستو » .

ستُ سنين .

وفتحتُ عينيَّ كلَّ صباح

على الصكِّ بدمي

ولفلفني في العشايا .

وساقني مقيستو إلى الخواضرِ

حيثُ الملايين أركانُ أقفاصِ ؛

وحملني الى فُلكِ يعجّ :  
كلّ يقصُّ عن كلِّ أوديسي  
وبجرٍّ بين كلِّ وكلّ .  
تمنيتُ البراري  
وجزيرةً خليّة .

وأمرَكِ بي  
( بطيئاً بطيئاً خيولَ الظلام ) .  
وخلتُ التجاعيدَ هجرتَ وجهي  
وأبوابَ بلدي فُتحتَ لي .  
في المنعطف ، وقد تشابكتُ يدا نا ،  
حين قرّبتِ وجْهكِ  
رأيتُهُ خلفكِ

يوميءُ بالصَّكِّ لي .

وفي المساءِ قهقهه : « ماذا نظمتَ ؟ »

- إذ قرَّبتِ وجهك لابنِ عمِّي .

ساعةٌ لا تدقُّ .

عربةٌ نارٍ لا تبيءُ .

قلمٌ يُفسدُ على الأرضِ ولا يُخصِبُ أوراقا .

وصكٌّ بدمي .

أسرعي ، أسرعي يا خيولَ الظلامِ .



## كر بلانس كمشال للبطل

---

عندما تخطى البوابة

سمعت أذناه ولم نصغيا ،

خفتت فيهما الصرخات المتعالية .

قطعوا حبل النجاة ،

رأى القيد انقطع .

« لِيُنْفَ ! »

عندما تخطى البوابة

سمع « ارَحْمْنَا ! »

« لِيُنْفَ ! »

خارج البوابة الحديدية

في أرضِ العدا  
إنتصبَ في الفورمِ  
إستعرضَ السبايا  
وانطلقتُ تخزقُ القهقهاتِ :  
« نفيئُكم ، بني وطني ! »

عندما تخطى البوابةَ  
أو تضاءلَ المرفأُ  
عندما التمعَ لهيبُ سيفِ  
أو بُشِّرَ أبُ  
عندما تذرذرتِ الأوراقُ  
أو تقلبَ جامداً  
في شتيتِ من الديار .

## في الطريق الى دمشق

---

أرى، ويرثي الكفيفُ لحالي .

تتعمَّزُ وتَبْحَلِقُ . ماذا ترى ؟

هنواتٍ من لا شيء ،

وكوناً مليئاً بالفراغ .

هلمَّ أزيحُ القشورَ عن عينيك ،

وأريكَ مباحجَ الحياة .

أجوبُ المَلاهِي ضُحَى  
وأرتادُ المصايفَ في الشتاء .

أُتَبَصِرُ؟ نَكَلِّمُ ، أَجِبْ .  
جفناكَ يرُمِسانِ ، ولسانِكَ عَيَّ .

ثوباً مزرَكشاً ، أجزاءً ثوب ،  
ينضمُّ ، ولا يَسْتُرُ ،  
ويَنشَقُّ -

إِضْ .. غَطُّ .. على الطين .

أيضاً؟

أيضاً : أنا سمعُ وشمُّ ؛

لئن رميتني الرعدة ما دريت :  
لهمس بعيد أم لطيب زعاف .

بدلت لك الطين ،

تمتع بالجمال .

أين أقلت بي ؟

غير هذا الثوب كان ،

وغير ذالهمس (أس... كته...ها) والطيوب .

تمتع -

بلى ، ولا تقل : بالجمال .

« حبيبي ، حلمت بي ؟ »

وقلتَ بحسني الدرر؟  
لأقرب منّي ، التصيقُ ،  
ودعها تلجسي وراهبة .  
عش ، حبيبي ، تمتع -  
بالجمال ؟ ...

« بالجمال . سُقَّ ثوبي ، كيف تراه ؟ »  
كشدوك ..

« وطيبني . عينك آه ، تخرقان - »

تجُرُّكَ عَصَاكَ ؟

أينَ بعد ؟

حيث تحت الثوب جسد ،  
هو يبعثُ الشدو ، وعنه الطيوب .

كان ، وقد ذفنت به .

جسد<sup>ه</sup> لانسان ،

يوحى ، ويسكن مقلي<sup>تي</sup>

طيناً لا يحف .

الطينُ فيض . أُذنُ مني .

.. والآن ، ألا ترى ؟

أرى .

أرى هالةً ، وراحتين من نور .

لكَ الطينُ :

لي راحتاه -

ستلمسان ، وسأبصر .

الى طرسوس؟ وتهجر القدس؟

الى دمشق، ايّاما.



الى مدام افروداينه

---

لأَنَّكَ الصَّقْوَةُ

ارْتَمَيْتِ

أَنْشُدُ الدَّفءَ فَيْكَ .

ذِرَاعُكَ يَدْعُو

يَمِينُكَ تَرَاوَعُ الْعَيْنِ

تَدَاعَبُ الْجَاحِمِ .

لَأَنِّي أَرَدْتُكَ

هَرَعْتُ لِلسَّرِيرِ ،

لم ألمح الجمجم  
ترحب رطماً بالقرين .

غنائي يهفُفُ الرخام  
يتمولبُ الشفتين .  
غنائي يُلونُ الرخام  
يرقصُ الجمجم  
يقوي النداء .

ذراعك يدعو ،  
سكونك هياج .  
عناقك دفءٌ وقشعريرة ،

عناقك حمى .

يُمعُّ لعانك غنائي

ويُعريني .

صميتي مقصور ،

غفلة تجلببني

وتتدحرج على المرمر .

كصميتي غنائي انتحار .

على شطّ قبرص

بين يساريك

اتّحد بالأرض الاويمب .

يَوْمَهَا الْفَنَانُ بَعْلٌ

وَذُو السِّيفِ خَلِيلٌ ؛

يَوْمَهَا الْحُبُّ وَالْمَوْتُ فِي عِدَا ،

وَالْحُبُّ مُتَّئِمٌ ، غَيْرُ خَصِيٍّ .

زَبَدًا بَعْدُ كُنْتُ ،

بَقَايَا إِلَهٍ فَقِيدٌ ؛

لَمْ تُحَجِّرْكَ يَدَانِ ،

لَمْ يُقْصِكَ لَوْفٌ ،

لَمْ يُخَفِّفْ نِيَابَتُكَ زَمَانٌ .

كُنْتُ بَعْدُ حَيَاةً وَفِيضَ حَيَاةٍ -

يَوْمَهَا لَوْ عَرَفْتُكَ -

أَكُنْتُ أُرْتَمِيَتْ ؟

لأنَّكَ رخامٌ

تحرقتُ عروقي ،

لأنَّكَ في الأسرِ

لأنَّ اللوفرَ قريب

لأنَّ ردِّي بين يمينك والعيان .

صفاءُ ساعة ، وهياجُ ساعة ،

في مقلتيك .

مياهٌ وديعةٌ يسري فوقها سارٍ ،

وأمواجٌ مُرساةٌ لا يُروّضها غيرُ إله .

فتى أجيءُ البحيرةَ ، أتعرى واستحجم ،

أدا عبُ زرقَتكِ وزرقةٌ في السماء تُظللّاني؟

متى أجيءُ :

وفي الهياجِ ساعدايَ ساعدا وليد ،

وفي الصفاءِ أتبينُ في البحيرةِ

أشلاءَ وأشلاءَ لمن أغرتهُ بالاستحمامِ عينكِ ؟

كالبرقة في منتصف ليلٍ شتويٍّ  
 ومَضتْ ،  
 كالبرقة لمعاناً وخطفاً ،  
 لا رائدة غيثٍ ولا بشرى ربيع .  
 لمعتْ ، ولمعَ الأفقُ ،  
 واختفتْ أبداً ، وكان ما كان ما كان .  
 فظلَّ اللَّيْلُ اسودادُهُ وللأفقِ حدُّه  
 وصمتُ في الكونِ رهيب  
 لم يُلاشه قصفُ رعدٍ  
 بل زاده وزادها حلمٌ مرَّ وزال .

لمحُك

والقلبُ هاديٌ والفكرُ وسان ،

وابتسمت .

حررت هذا وأيقظت ذلك ،

واختفيت .

ما كان أحلامي بعيداً عن الكونِ وعنك ،

وما أحلامك دوماً ، وما أحلامك .

عرفتُكِ وهلْ عرفتُكِ

تباشير صباح ،

وإذا أنا غيرُ ما عهدتُني :



أذكرُ أمساً طويته

وأبني على حاضرٍ ملون

غداً ما وعاهُ خيال .

عرفتُكـ

فعرفتني على ما جهلتُ عنِّي

ونبشت لي ما أخفيتُ فيَّ ،

وهربت .

عرفتُكـ

وأنا إناءٌ من الزهرِ خلو ،

فكنتِ الزهرَ : لكن ما كان أسرع ما فني ،

وأنا ديوانٌ ليس فيه شعر ،

فكنتِ الشعرَ : لكن ما كان أقصر عمرته ،

وأنا هيكلٌ غاب عنه القدس ،

فكنتِ القدس :

قدساً واشتهيتك .

وغبتَ وغبتَ ،

واستكان القلبُ ، من غير هدوءٍ

وارتمى الفكرُ ، من غير سنة ،

ولكن أحقاً أتيت ؟

وحقاً كنت ؟

وكنت ؟

---

كطول القصيدِ عمرُكِ ،  
يا خمرَةً حَلَّتْ وَلَمَّا تَعَتَّقْ .

بالأمس كنتِ سماءَ صافية ،  
وإذا بكِ ، في غفلةٍ رحيم ،  
غيرُ ما أنتِ ،  
وإذا في كلِّ بقعةٍ من السماء  
نجومٌ ونجوم  
وتباشيرٌ هديرٌ تلوح .

هذي النجومُ البواكر  
منها تُحاكُ البراءة ؛  
إنْ وشوشتها ضحى أخواتِ عوانس ،  
جهلت ، خجلت ، ما يُشاع .

كُلُّكَ اليومَ انطلاق :  
قهرتِ كانون ، وماقنعتِ نيسانَ هذا  
( تبارك ، تبارك نيسانُ هذا )  
وكأنَّكَ تبغين قطفَ حزينٍ اقتطافا .

أنا ، يا صغيرة ، أخشاك

وأخشى غداً

شدوك فيه حرام على أذني المهرمتين ،

ولنعان نجومك يصعق في عيني نوراً خبا .

كطول القصيد عمرك ،

وكطول اذكاره اذكارك .

وحدني اجتنيتُ من الشوكِ تيناً ،  
 وخرّاً من الحسكِ اعْتَصرت .

بصارمٍ تُنَدِّيهِ السهومُ طَعْنَتْنِي ،  
 فْتَقَاطَرَتْ هَنَوَاتٌ مِنْ النَزْرِ دِي :  
 هل تذكّرِينِ البلبِلَ الدَامِي  
 ومولدَ الحمرِ النورودِ ؟

سلوتني ، وأحببتك :

نافلة لي تحسب ؛

أي أجرٍ كان لي

لو عشقتُ وعشقت ؟

حرمتني حبك واللقيا الهني ؛

هل حرمتني حباً ولقيا

في غيبوبة وفي رؤيا

وفي نغماتٍ شعريٍّ كأنفاسٍ إليه ؟

عرفتُ الحبَّ ، وما عرفته ،

وثالوثهُ القدس :

وفاءً وحرماناً وإيحاءاً ،  
إن لم يكن لها فما يكون ؟

أذقتني الحرمان المرير ، وأوحيت لي ،  
وتسألين عن دليل للوفاء :  
هياً أقطفني التين الذي اجتنيتُ  
وبالخر التي اعتصرتُ أثملي ،

لا تبقي لي غير الشقا ،  
واسعدي ، فأسعدُ .



قَطْبِي جِبِينِكَ ، وَلَا تَبْسُمِي :  
 فَلَا نَ يُزْهَقُ الزَّهْرَةَ مَحْرَاثٌ يَجْتَثُّ  
 خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُزْهَقَهَا أَنَامِلُ قَطَّافَةٍ .

أبْسَمَةُ هَذِهِ ؟  
 كَانَتْ بِسْمَاتِكَ بِعَثَ هِنَاءٍ ،  
 حَتَّى ابْتَسَمْتَ بِالْأَمْسِ ؛  
 فَذَا الشَّمْسُ ، وَهَابَةُ الدَّفْعِ ، تَضْحِي فَاتِكَةَ  
 وَإِذَا الْفَرَسُ يُرْتَمِي صَرِيحاً تَحْتَ وَهَجِهَا

٢١ وكانت عرق حياته .

حتى ايسمت بالأمس

له .

أيُّ جانٍ فيكِ

(وفي البدر كلف) ؟

هيكلٌ من ضبابٍ ، بلا كساء ؛

وعينان من غير نور :

عينا زجاجٍ هما ،

أم يتيمةٌ كعَيْنِ الصَّقْلِ ؟

كاملُ الحاساتِ ، ولا يحسّ ؛

سواءٌ في سمعهِ أغرودةٌ وبجّةِ ،

وفي التيهِ لحدُ الصلاةِ والشتِمةِ .

حرامٌ على فيهٍ أنْ ينبس

وعلى شفثيه أنْ تأنسا بيسمةِ

أوجبينه أنْ يُقَطَّبَ .

عواتيُّ الرياحِ لا تهزُّهُ ،

وعبثُ النسيمِ لا يستثيرُهُ :

ليس للجنِّ شقٌّ .

لا يمسُّ ولا يشمُّ ،

وهأنْ يذقُ فأكلهُ قِيٌّ .

محمومٌ ، أبدأ في فتورٍ ؛

إنْ تارجحَ فإلى حمى ، تنفثُ الربأ

ولا يموتُ ،

أوالى برداء ، تثلُّ

ويبقى في نشاط .

في نشاط ؟ وروعه في هدوئه

وصخبه في سكونه ، وبطشه في يد لا تسدُّ سهماً

وفي جفنين مطبقين منها شرر يتطاير .

أوتيه أمداً ،

أخبث ضيف على أحلى مضيف :

أفتركينه يُضحى ربّ منزل ؟

إنّ الكلف في البدر سريعُ الزوال ،

والآ فالحاقُ عمّا قريبٍ وريث ؛

وبحّة البلبل بنتُ ساعة ،

فانُ عمّرتُ غداً والقرابُ صنوين .

أفما آنَ بعدُ أنَ تهجره ؟

عبثٌ قتالُهُ ،

حتَّى السيفُ ، في ضربه ، أبتَرُ ؛

بما منَ لئذا يعيش .

واحدُ السهمُ الذي يُرديه :

صنوُّ له من الصدودِ أوَّويه .

ذا حتفُهُ ، كعبُ أخيل

له ولي :

أفقاً عيني كي لا أشهدَ قبيحا ؟

أعايشُ مثله لأبعدَ عني ذكراه ؟

وإنْ فعلتُ وظفرتُ

أيعرفُ من الغالبِ والمغلوبِ من ؟

ألا أكون أيماريشتُ أصابني سهي؟

ألا تداركك  
عاشق فرستاد بی بیم و دلجو  
بیا سخن گفتا و نه برآورد  
سینه که نهایی  
دروغی البیع حقه حیانتک رسد  
رویا ظلمت  
فسترد و دولت کل شکر است  
کمال

ألا تداركك  
كل الفجر ليست طير من حديد  
والعشاق من دم و جسد  
تلكه اصحابك

## فزع

---

طفلانِ ، أنتِ وأنا :  
نبكي ، نطلبُ دميةً ،  
فانْ تجيءُ مزرَكشةً لنا ،  
رميناها ولمْ نلعبْ ،  
وعمَّ الصراخُ الدُّني .  
طفلانِ  
طفلانِ ، أنتِ وأنا .

عرفتِ ما تبغينَ ، وعرفتِ ،



فهويت في المسمى ، وهويت .  
وحدقت في عيني ، وحدقت ،  
فأسبلتسهما ، وأسبلت .  
مَيْتَةٌ وَمَيْتٌ .

عطشنا ، فرحنا إلى النبع فوق الجبال ،  
ولم نخش أسداً وسط أدغال .  
... وفي النبع لمخنا خيالكَ وخيالي ؛  
فاستدرنا ، وماتت على شفاهي «تعالى» .

على السفح قبضت على يدٍ من حديد ،  
وأشحتُما عن تائهٍ وحيد .

يلمس الصدر ، فيُلقيه من جليدٍ ،

والمس صدري ، فألقيه من جليدٍ ؛

ولم أُرِدْ ، ولم تُرِيدِي .

إلى أن انزاح الستارُ الأخير  
 كان في حبنا نقصٌ  
 خفيٌّ أليمٌ .

كتاباً كنتُ لكِ ، وكنتِ لي كتاباً ،  
 وعلى الرفِّ ألفُ سفرٍ ؛  
 وأختاً كنتِ لي ، وكنتُ لكِ أختاً ،  
 وكلُّ من في الكونِ اخوانٌ .  
 فانْ غبتِ وإنْ غبتُ

انتفض الحب ولم يعتكف .

ولم ندر ( ألم ندر ؟ )

أن كان في حبنا نقص

خفي أليم .

ظننا حبنا الكمال

( ظننا أم تعامينا ؟ )

فقدنا عندنا ، سقامي ،

ولم نلتفت إلى حوض قريب

تمحي الأسقام فيه

ويبلغ الحب بعده الكمال ،

حتى تراهي لنا الستار المقيت .

بلا أرجل سعيينا ،

بطيئًا بطيئًا زَحَفْنَا؛

هل خشينا المياه؟

من مياه البعث ارتعبنا .

(رائدَيْنِ كَفَّاءَ، أم كَفَّاءَ نَزُورُ أوطاننا؟)

وفي الحوضِ ارتمينا ،

إرتمينا حتى ارتويننا

عندما انزاحَ الستارُ الأخير .

---

خدعتني ، فلم أبالِ :  
لأنك انتقيتِ  
يومَ بختٍ عن حبيبِ  
صديقي .

أحبته ، وقبلكِ أحبته ،  
فتلاقى حبي وحبك ؛  
ويكفيني .

كان يكفيني

لو انك لم تهدي  
أن تخنقي صداقتي له  
بحبك .

أن تخنقي الصداقة  
وتصرعي الحب :  
أن تذبجي الفتى  
على مرأى أبيه ،  
وبعداً تذبجيه .

لم أبال :  
لأن حبك كان سيخبو  
اليوم أو غدا ،  
فخبا اليوم

واسترحت .

طعنتني ، فلم أقض ،  
والتفت ، فاذا أنت التي تُلحدِين .  
وعلى رمسك خططتُ :  
« فلتمتُ حبيبي ، وليعشُ صديقي » .



---

كذا يَمَّحِي الشوقُ في أوجِهٍ ،  
وتنهارُ في ملثها آباد ؟  
كذا تحمدُ الجذوةُ حمراءَ ،  
ويُعْتَصِرُ الهناءُ في لذعةٍ وحيد ؟

سَعِيرٌ فيَّ كان يتأججُ ،  
وأموه تَعَجُّ ، وبركانٌ يثور -  
ما كان فيك :  
فأخذتِ اللهبَ ، وما اختمدتِ ،

وتقبَّلتِ اللحم ، وشيءٌ فيكَ لم يندثر ،  
واحتضنتِ السيول ،  
وكأنكِ نديمٌ يُعَبُّ من كفِّ ساقِي ؟

وهبتُكِ أغلى كنوزي ،  
فاحتقرتِها بصمتٍ موجعٍ ؛  
ولمحتُها شاحبةً عليكِ ،  
فاحتقرتُها أنا ، واحتقرتُني .  
كبرتُ ، وذلتُ ،  
وتضاحكتُ في الجدارِ المرأيا .

جئتُكِ أحبُّ ، فأعدتِني

شوقي نفورٌ وإيماني هباء

( في المعبدِ القدسُ أم في العابدِ ؟ )

وفي الباب التقيت -

أهو التلقُ الذي خلفت ؟

وعدتُ عليه أتسكي

وعلى رفيقي الجديدِ ، الندم .

كذا يكونُ الرحيلُ :

مطهرَ أمانِيٍّ وارتياب

فرعْشَةَ نعيمٍ

تمّحي في جحيمٍ سرمدِي ؟

## عاقرة بين اطفال احسها

---

غيومٌ من الصغارِ تكتنِفني ،  
وضبابٌ من الجذبِ لي وشاح :  
أنْ أتملَ ولا أعصر عنقودا ،  
وأنْ أساكنَ النسور ولا أبتني كوخاً لهاثم .

كالعاقِرِ بين النساءِ أنا :  
معَ الشحوبِ في وجهها سقمٌ وهمّ ،  
وفي الخاطرِ وشوشات :  
أكانَ لزاماً أنْ أتزوجَ

فأعرض للناسِ قصوري  
وأجعل منِّي لأترابي أضحوكة؟  
ليمتني ظلتُ عزباء ،  
فالعانسُ لم تعرف خبيبة العقيم .

وتمنِّي النفسَ ( واهماً للأمل :  
أخذاعٌ هو أمٌ وليٌّ أمينٌ ؟ ) :  
« كرمل البحرِ ذرِّيَّةُ سارايَ  
العاقِرِ حتَّى الشيخوخة . »  
وبسمةٌ ، وغصَّةٌ ، و :  
« أحمد الله ، لستُ شجرةً تُثمرُ علقما  
ولا تينةً ذوتُ من لعنةٍ حتَّى الورق .  
وإن لم أكن أمّاً تلد

فَلَسْتُ بِجَلَادٍ يَحْرَمُ الْأُمَّ وَلِيداً مُخَلِّقاً . «

عاقراً ، ما هم ؟  
أما تحنو على الصغار بحب ؟  
أي أمٍّ أحببت أطفالها  
حبَّ يسوع يلفظُ البركة ؟

وعاقراً بعداً ، من قال ؟  
وإنما هي من الجورِ الحسانِ  
حلمِ المؤمنِ ؛  
فإن لم تلد ، فلا لعقمِ  
بل منحةً من الأرباب :

أن تنعم بالذمة  
الخصبة خصب المتيمات  
ليلة بعد ليلة بعد ليلة ،  
حتى اذا أقبل الفجر  
ترامت بين ذراعيه بكرا ،  
تعرف من سرائر الخلق ما لا تعرف الأمهات .

« رهاك ، زعمي ! »  
 وقبّلتُ أسفلَ القضبان .  
 ورماني بضحكةٍ وقال :  
 « غنّ ، أ كسرِ القضبان . »  
 وتنفّختُ ، أستجرُّ النديبَ  
 أستجرُّ الرجاء ؛  
 وغنّيتُ وغنّيتُ ،  
 وتراقصَ الصوتُ  
 ولمْ توقّعْ له حنجرة ،  
 وغنّيتُ وطيّبتُ لي .



وانتهى إلى صوت بعيد :

« كفى ! »

قلتُ : « ابتعدْ أيُّها الشيطان » ؛

والحَّ : « جئتُ بالمطرقة » ،

قلتُ : « بلى ، ولكنْ

لستُ أرى القضبان » .

## القصيدة

---

ما الذي يُضيءُ لي الزقاقَ الأسمرَ  
ويوجِّهُ خطايَ متسارعةً  
إلى حيث يُسْفِكُ الخصبُ فيضاً  
وتبقى البراري براري؟  
يقيناً، أيتها الحلوةُ لأنني احتججتُك،  
ما قاذبي اليكِ هوَى لكِ  
بل قاذبي اليكِ هوأي لي  
ولقوةٍ فيَّ ثريةٍ  
باتَ يُقلِّبُنِي في العشيِّ  
أنْ أراها أفلتتْ في الصباح،

فأسعى إليك -

لتبعمي ، جاهلةً ، في اليتيم ،  
وتتلو ( ولا تُتلى لنا ) الطقوس -

لا لتُعطي بل لتأخذي

ولا لتأخذي بل لأهب -

وأضحكُ من الحياة وزينتِها .

وأقول : « عفوك ، أيُّها الرسول ،

تحرَّقتُ ولم أستشف في مصحِّك » ،

وأقول له : « كيف شوكتك ، يا رسول ؟ »

ليلةً ارتديتُ بدلةَ المواسمِ ،  
 وتزيّنتُ وقصّصتُ شعري ،  
 وتعشّيتُ في الكوبا كابانا  
 مع رفيقتي ، وأصحابي ورفيقاتهم ،  
 ثمّ تمشّينا على الكورنيش المُعتمِر ،  
 وقلنا للبحر ازبدْ وطرّطشْ ،  
 وللنجومِ ههْ ههْ ،  
 وانشغلتُ عن القَوْلِ الشفاه ،  
 أخذتُ القلمَ لأكتبَ في حبيبي سونيتةً ،  
 وحسّمتُ التيقظَ القوافي ،

ففرّ القلمُ بينَ أصابعي ،  
وعلى الأرضِ حيثُ ارتمى  
شخَطَ في وجهي ، وقال :  
« تُغَنِّي ، وأنتَ شعرةٌ  
وعلى الرأسِ جمّةٌ ؟ »

ويومَ رفعتُ المديرِ استقالي  
( لا أرفضُ لهُ طلبيا ) ،  
ولفحتني الشمسُ  
ثم احتجبتُ عند الظهيرة ،  
وعربدتُ ، وركني البارمانُ الأعور ،  
وعدتُ أقبضُ في جيبِي على قروشي الهزيلة  
لئلا تتسللَ من الرتقِ الوسيع ،

انتشلتُ ورقةً لأنفُثَ عليها السباب  
أوزَّعُهُ على جميعِ البحور ،  
فتطَّيرتِ الورقةُ قبلَ أنْ تصطلي بشعري ،  
وقالتْ بلهجةٍ مُبشِّرةٍ مُسنِّنة :  
« تُعَنِّي ، وأنتَ شعرةٌ بيضاء  
على رأسِ يافعٍ ؟ »

وأغمدتُ القلم ،  
ولفلفنتُ في الورقةِ زادي .  
وُبستُ حبيبتي بدونِ سونبته ،  
وشتمتُ البارمانَ والمديرَ من غيرِ نار .  
وتلوَّيتُ ، شعرةً وحيدةً ،  
ورحتُ اقتشُّ عنْ رأسِ أصلع

أحط عليه .

---

---

أَحِبُّ الْبَحْرُ  
مَلْعَبَ حَيْنٍ وَبَيْنَ ،  
أَحِبُّ الرَّمْلُ  
زَوْجَةَ شَمْسٍ بِتَوْلٍ ؛  
وَأَكْرَهُ السَّفِينُ  
تَحْمِلُ خَصْبًا وَنُورُ  
وَتَحْمِلُ مَقْصَلَاتٍ  
لِلْعَنْقِ وَالْبَكَارَةِ ،  
مَجْدَافِهَا وَالْخَيْبُ  
بِعَوْضَةِ حُبْلِي تَضُمُّ .



أَحِبُّ الْجِدُولَ  
وَأَكْسَ خَطَرَ ،  
أُنَاجِيكَ مِنْ ضِفِّ  
وَمِنْ ضِفِّ مُتَنَاجِينَ ،  
وَالْحَنِينُ  
حَرْفُ عَطْفٍ  
تَرْجِيئُهُ نَاسِخٌ :

( وان قرأت القصائد  
فهل صاهرَكَ الشاعرُ ؟ )

---

أنا ربّ قديم  
تقصدُ موحاهُ الأمم؛  
فتحتُ الكوةَ أتلصّصُ ،  
فألفيتني مقعداً أجشّ .  
وكبوتُ .

خدعةٌ لفقّتها ، فصدّقتها ،  
وآمنتُ بها اذ وثقت .  
وانزاح الغمام

عن عيونٍ أربعٍ .

تعريّتُ على مرآكٍ ،  
فتزاحمتُ سياطُ الغيظِ والهوان .  
والرثاءُ؟ رحماكِ لا :  
أنا أقمتُ التمثالَ  
وأنا عليه أهويتُ ؛  
فلئن اليومَ هدمتُ  
فقد ما نحتُ ما خلتِهِ كالمعجزاتِ .

## الى جون مارشل

---

قلت لي : « هيا معي » .

( خيالاً كنت أم كنت انساناً ؟ )

قلت : « الآن ، وقد عمرت المائدة

بأطياب الملك وخمر مشروبه ؟ »

قلت : « هيا معي » .

وعرفت ان في القصر الذي جئت منه مواعد

حول كل منها فتیان سمانی ؛

فلحقتك ، أسر في داخلي :

« هناك »

هناك الأطياب والخور . »

وفي القصر استدرت وقلت : « جُلْ  
بين كلِّ الموائدِ  
واقنت بما تشاء . »  
.. ولم يكن على الموائد غير قطاني وماء .

قَبِيلَ الصِّبَا أَيْ قَطْنِي بِسَمَاتُ  
مَنْ لِأَجْلِهَا كُنْتَ عَكَّازِي  
وَلِأَجْلِهَا كَانَ تَرْحَالِي ،  
وَالْتَفَتُّ إِلَى الْخَائِطِ ، حَيْثُ كَانَتْ لَوْحَةٌ  
لَعْدِيرٍ وَتَلَّ شَجَرَتَيْنِ وَعَاشِقَيْنِ وَبَضْعِ عَصَافِيرِ  
رَسْمَهَا طَرَّاشٌ فِي نِصْفِ نَهَارِ  
( قِيلَ لِي إِنَّهُ يَرَسُمُ عَشْرًا مِثْلَهَا كُلِّ شَهْرٍ ) ،  
فَإِذَا لَفِيفٌ مِنْ مَرَايَا

ورفّ من الكتب ونافذة  
تُطيلُ على ما حاول الطراشُ انْ يَنسخ.  
وقصّصتْ شعري  
وكوتُ ثيابي ،  
وعندما برزتُ للناس  
غمزتني فهددتُ لهم لساني .

ووجدتُ المسطرةَ التي صحبتُها معي  
قد انكسرتُ ،  
وأوراقي القدامى التي أثقلتُ جيبِي  
زُمَّتْ أبياتُها السبعونَ الى ثلاثين  
وقالت الثلاثون : « مُسَّ شعرةً انْ اسطَعت . »  
وراقصتُ مرصعاتُ الزّخمشري

حفاة ضيعة في الجليل .  
ونظرتُ الى الغلاف الذي كانت أوراقُ حبي فيه ،  
فاذا برسم القلب الذي كان عليه  
قد أُضيف له رسمُ رأسٍ  
وثالثٍ دونهما .

وحملتُها الى الناقد ،  
فألقاها على الفراش  
وقال لها : « تحدّثي » ؛  
وخلعَ نظّارتيه ، وجلسَ يستمع .

بعدَ عشرةِ أيامٍ لقيتُك

وصرختُ: « أنظرُ، زالَ مني الهزال ».

وقلتَ: « أمامكَ بعد

مُجِبُّ الأُسُودِ » .





Elmer Holmes  
Bobst Library

New York  
University

وصرحت: «انتظر بوال مني المزال».

وقلت: «أمامك بعد».

«حج الأسود».



**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

NYU - BOBST



31142 01254 1721

PJ7862.A88 T3 1954

Thalathun

PJ  
7862  
.A88  
T3  
1954  
c.1